ناجي ... شاعر له مستقبل !

بقلم أحمد عبد المعطي حجازي

كنت دائما احلم بالكتابة عن شاعرين : طرفة بن العبد ، وابراهيم ناجي ..

ولست ادري الآن بالضبط كيف جمع اعجابي بين شاعرين تفصل بينهما قرون اربعة عشر !

أيكون موطن الجمع ان فن كل منهما يتجه الى الكشف عن ذات غير اجتماعية ، فهو لا يبشر ولا يوافق ، بل يحتج ؟

أم يكون موطن الجمع تلك الصورة التي يقدمها كل منهما عن الحياة: ان فيها قدرا كبيرا من الشر والعبث ، لكنها تستحق ان تعاش ؟

أم يكون ذلك اختلافهما الذي يلتقي في النهاية حول تصور ماساة الانسان مع الحياة ، اذ يرى طرفة ان المأساة في قصور الحياة عن استيعاب بطولة الانسان ، بينما يراها ناجي في الصراع غير المتكافىء بين الوداعة الانسانية الفانية وعبث القوانين الباقية .. وبينما يندفع طرفة بجنون لاستهلاك فرصة الحياة ، يندفع ناجي بجنون لاستهلاك ذاته، وهما طريقان يلتقيان ، ووراء الاندفاع فيهما شعور طاغ بالموت ؟!

ربما .. وربما كان لي في كل هذا نصيب يشفع لي في طلب الصحبة !

★★★

لم يكن ابراهيم ناجي اول من قرأت من شعراء الجيل الذي سبقنا، بل لعله كان آخرهم ..

وأنا أذكر ان علاقتي بهذا الجيل قد بدأت في اواخر الاربعينات وبالتحديد في السنتين الاخيرتين من هذا العقد ، حين كنت في الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمري ، وقد انتقلت من القرية الى المدينة الريفية التي التحقت فيها بأحد معاهد المعلمين ، واصبحت بقرب مكتبة عامة اتاحت لي ان اقرأ من احبهم من الشعراء قراءة منظمة ، فقرأت مجموعة من شعراء الجيل السابق كنت افضل منهم في البداية علي محمود طه والشابي والياس ابي شبكة حتى فتنت بمحمود حسن اسماعيل .. اما قبل ذلك فلم يكن لي الا ان اقرأ ما كان في بيت أبي وبيوت الاصدقاء ، وكله قليل لا يتعدى بعض الشعراء القدامى وبعض المحدثين مثل البارودي وحافظ ابراهيم الذي كان ابي يفضله على شوقي كسنة كثير من القراء الريفيين في الجيل الذي شهد حركة الاستقلال الوطني ..

كان علي محمود طه اذن اول من عرفت من شعراء الجيل السابق بسبب شهرته الكبيرة ، تلك التي كان يؤكدها في ذلك الوقت لدي ولدى كثيرين من ابناء جيلي رجلان : مطربنا المفضل عبد الوهاب ، وناقدنا الاثير انور المعداوي ، حتى وقعت على ديوان « اين المفر » لمحمود حسن اسماعيل ، فأطار صوابي وحسبته لقلة العارفين به حولي انه اكتشاف من اكتشافاتي ، قبل ان اعرف ان عددا كبيرا من شعراء جيلي خاصة في مصر والعراق قد فتنوا معي في ذات السنوات به ..

اما ناجي فلا اذكر اني قرأت له حتى توفي في عام ١٩٥٣ الا بضع قصائد في مجلتي « الرسالة » و « الثقافة » لم تصرفني للبحث عن دواوينه ، حتى نشرت مجلة « الفد » التي كان يصدرها الماركسيون في القاهرة قصيدته « الغريب » بمناسبة وفاته ، وكتبت معها رأيا في الشاعر ملخصة على ما أذكر ان ناجي كان فنانا كبيرا لكنه عاش بعيدا عن حركة الجماهير ، فكانت هذه القصيدة الرائعة بداية اكتشافي له ، ولعلني ادرك الان ان البحر الذي كتبت فيه القصيدة « المنسرح » هو الذي الهمني بعد سبع سنوات قصيدتي « تموز » التي كتبتها في ذات البحر ، بالرغم من اني قرأت بعد قصيدة ناجي عدة قصائد لشعراء آخرين من اهمها قصائد المتنبي في هذا البحر الجميل النادر في شعرنا الحديث ..

وربما كانت تجربة ناجي في قصيدته هذه التي مطلعها :

يا قاسي البعد كيف تبتعد
اني غريب الديار منفرد

وختامها :

اني غريب ، تعال يا سكني
فليس لي في زحامهم أحد

قد التقت بعد عشر سنوات بتجربة لي عبرت عنها في قصيدة « لا أحد » التي اقول في ختامها :

هذا الزحام .. لا أحد !

ومنذ عام ١٩٥٣ حتى الآن كان ناجي يكبر في نفسي بينما يتوارى في الظل قليلا او كثيرا غيره من شعراء جيله . ولعل حاله معي لا يختلف كثيرا عن حاله مع زملاء لي من شعراء هذا الجيل ، فالديوان الاول للشاعر محمد الفيتوري « اغاني افريقيا » يحمل آثارا من شعر ناجي الذي تعرف عليه الفيتوري في سنوات عمره الاخيرة ، وخاصة موسيقاه كما نجد مثلا في قصيدة ناجي « شكوى الزمن » :

يا ويلتا من عمري الباقي
هذا سواد تحت احداقي

وموسيقى هذه القصيدة تتردد في قصيدة « النهر الظمآن » للفيتوري ، وفيها يقول :

اريد ان ألمس الاعماق ، ان المس اعماقي
بي ظمأ ، بي ظمأ قاتل فأين ينبوعك يا ساقي !

كما يقول صلاح عبد الصبور في بعض اعترافاته أن شاعره المفضل كان علي محمود طه حتى زاحمه ناجي ..

وفي ديواني صلاح « الناس في بلادي » و « اقول لكم » آثار واضحة من موسيقى ناجي وصوره القاهرية .. فالمقطع الذي يقول فيه صلاح من قصيدته « اناشيد غرام » « احبك يا ليلاي لا القلب ... هواي ولا الايام مسعفة حبي » تتردد فيه اصداء من المقطع الذي كتبه ناجي في قصيدته الطويلة « ليالي القاهرة » من ذات البحر واللهجة البلاغية ، ويقول فيه ناجي « الیلاي ما أبقى الهوى في من رشد فردي على المشتاق مهجته ردي » .

وصورة الليل القاهري الناعم تتردد كثيرا عند ناجي وعند صلاح مع صورة العاشقين الوديعين المحتميين بالحب ..

ونحن نستطيع ايضا ان نتتبع تاثير ناجي في غير هؤلاء من الشعراء حتى شعراء الجيل التالى لهم ، فنجد ان ما بدأه ناجي في استخلاص الشعر من صور الحياة اليومية العادية او التافهة قد اصبح ميزة كبرى من مزايا عدد من شعراء الجيل الجديد او الاكثر جدة كامل دنقل مثلا..

ابراهيم ناجي اذن شاعر مستمر بعد موته ، بل ان تأثيره الان في الشعر اوضح منه خلال حياته ، ويرافق هذا ان الاهتمام بناجي الان يفوق الاهتمام به قبل وفاته .. لهذا فناجي شاعر له مستقبل !

ناجي وصاحبه

الفرق في رأيي بين ناجي وبين معظم شعراء جيله .. ان شاعريتهم جزء من شاعرية المرحلة التي عاشوا فيها محدود بحدودها ، ولهذا تكاد اعمارهم الفنية تتطابق مع اعمارهم الزمنية ، فما تنتهي حياة احدهم حتى يقل الاهتمام بشعره ، وفي بعض الحالات ينعدم ..

وفي تفسير هذا الرأي سترون اني اقارن في عدة مواطن بين ناجي وعلي محمود طه ، ولذلك عدة اسباب منها :

● ان الشاعرين هما المع شعراء جيلهما وقد ظهرا معا وظهر الديوان الاول لكل منهما في سنة واحدة ، وربطت بينهما في بداية حياتهما الشعرية صداقة عميقة ، ثم اختلفت بينهما الطرق بعد ذلك .

● ان علي محمود طه الذي اصبح اشهر كثيرا من صاحبه هو الاولى ان نقارن ناجي به حين يجد شيء يضطرنا الى اعادة الترتيب .

● واخيرا ان الكتاب الاول في هذه السلسلة قد صدر عن علي طه ، وفي التقديم الذي كتبه صلاح عبد الصبور اشارة الى تناقص الاهتمام بالشاعر الذي اختار له ، بينما نرى في المقابل تزايد الاهتمام بالشاعر الذي نختار له ..

فالمقارنة هنا تزيد الايضاح .

يقول صلاح ان دواوين علي محمود طه التي طبع بعضها خمس مرات في حياته لم يفكر احد في طبع اي منها بعد وفاته ، ويتساءل ما الذي نقل الشاعر من منطقة الشمس المشمسة الى حافة الظل الظليل ؟

والحال عند ابراهيم ناجي مختلف تماما ..

فدواوين الشاعر التي ظهر منها في حياته ديوانان هما « وراء الغمام » و « ليالي القاهرة » وظهر الثالث والاخير « الطائر الجريح » بعد وفاته بسنوات قليلة من باب الوفاء لذكراه اعيد طبعها جميعا ما لم يطبع من شعره في ديوان واحد اصدرته وزارة الثقافة في القاهرة ، كما صدرت عنه عدة دراسات ان لم تكن في معظمها ذات قيمة كبيرة فهي استجابة لاهتمام متزايد بالشاعر ، ومنها الكتاب الذي اصدره المجلس الاعلى للفنون والآداب بعنوان « ناجي حياته وشعره » لصالح جودت ، والكتاب الذي اصدرته الدكتورة نعمات احمد فؤاد بعنوان « ناجي الشاعر » والكتاب الذي اصدرته الدار القومية لاحمد المعتصم بالله بعنوان « ناجي شاعر الوجدان الذاتي » والدراسة التي قدمها محمد ابراهيم الديب الى جامعة القاهرة ليحصل بها على درجة الدكتوراه .. عدا المقالات الاتي كتبها عدد من النقاد والادباء منهم الدكتور محمد مندور ، والاستاذ العقاد ، والاستاذ مصطفى السحرتي ، والدكتور احمد هيكل ، والشاعر حسن كامل الصيرفي وغيرهم ..

وصحيح ان علي محمود طه ايضا ظهرت عنه بعد وفاته كتب ومقالات عديدة باقلام انور المعداوي ، والدكتور فؤاد ايوب ، والدكتور مندور وغيرهم ، لكننا لا نحسب زيادة الاهتمام بالنسبة لناجي ونقصانه بالنسبة لعلي طه بعدد الكتب والمقالات التي ظهرت عن هذا وذاك بعد وفاتهما ، وانما نقارن ذلك بما كان يحدث في حياتهما ..

علي محمود طه بايعه الدكتور طه حسين اميرا على شعراء الشباب عام ١٩٣٤ واعتبره المستشرق « برد كلمان » ربما بتاثير طه حسين في كتابه « تاريخ الادب العربي » خالق فن قومي جديد ، وافتتن به في حياته ناشئة الشعراء وقراء الشعر ، واذاع اسمه عبد الوهاب بما غناه من شعره ..

اما ابراهيم ناجي فقد اعتبره طه حسين نصف شاعر ونصف طبيب ، وسخر العقاد من كثرة الشكوى في شعره ثم عاد اخيرا فراى عند تقديمه لكتاب صالح جودت ان هذه الشكوى او ما عاد فسماه « اسلوب الرقة العاطفية » حق من حقوق الشاعر ، وكانت الصحف والمجلات حتى السنة الاخيرة في حياته تكتب اسمه مسبوقا بكلمتي « الدكتور الاديب » ولعلها كانت ترى ان طه او نشاطه الطبي عامة اشهر من شعره ان لم نقل اهم ، وكان ناجي ـ كما علمت من بعض اصدقائه ـ يتمنى ان يغنى له عبد الوهاب او أم كلثوم ، لكن هذه الامنية لم تتحقق الا اخيرا بما لا اظن ان ناجي كان سيرتاح له في حياته ، فقد اخذت الاغنية من قصيدتين اثنتين واجرى بعضهم تعديلات في بعض الابيات ..

فاذا راينا الان ان ما يصدر لناجي وعنه يكافيء ما يصدر لعلي طه وعنه ان لم يزد ، كان هذا في راينا دليلا على ان الاهتمام يزداد بالنسبة لناجي بقدر ما ينقص بالنسبة لعلي طه ، والاهم من هذا كله ما اشرنا اليه من استمرار ناجي في الشعراء الذين اتوا بعده وتخلف صاحبه..

من هنا يكون السؤال بالنسبة لابراهيم ناجي هو :

ما الذي نقل ناجي من منطقة الظل الظليل الى منطقة الشمس المشمسة ؟

والجواب ان ناجي لم يكن كزملائه شاعر مرحلة ، بل كان ايذانا بشاعرية جديدة هي التي نستظل بظلها الان ، ففي كل منا شيء من ابراهيم ناجي ولو عن طريق غير مباشر ، او على الاقل في كل منا شيء من هذه الشاعرية الجديدة أيا كان مصدره ..

شاعرية جديدة

ماذا نعني بهذه الشاعرية الجديدة ؟

نعني بها ان ناجي كان اقرب شاعر في جيله الى روح الافكار التي اشاعتها جماعات المجددين الرومانسيين في مصر ، وخاصة جماعة ابوللو التي كان ناجي وكيلا لها كما كان من اكثر محرري مجلتها نشاطا .

صحيح ان كثيرا من الشعراء والكتاب ساهموا ايضا بنشاط واسع في الجماعة والمجلة ، لكن هناك اثنين بالذات استوعبا رسالة التجديد اكثر من غيرهما ، وهما الدكتور احمد زكي ابو شادي سكرتير الجماعة ، والدكتور ابراهيم ناجي وكيلها ، سوى ان ابا شادي مبشر وناجي شاعر ..

ولم يكن ناجي ينشر شعره فحسب في مجلة ابوللو ، بل كان ينشر ايضا ما يترجمه من الشعر الاوروبي ، كما كان ينشر فيها بين الحين والآخر آراء نقدية حول شعر شوقي وحافظ والزهاوي ومطران وبعض الشعراء الشباب وبعض الروائيين الانجليز ، في الوقت الذي توقف فيه علي محمود طه عن النشر في ابوللو بعد قصيدتين ومقالة ، واخذ ينشر شعره في مجلة « الرسالة » التي بدأ في اصدارها صديقه الكاتب احمد حسن الزيات ، ولم يكتف بهذا بل استقال ايضا من عضوية

الجماعة ..

ومع ذلك فنشاط ناجي في ابوللو ليس هو ما يدفعنا الى ان نضعه على قمة المجددين في عصره ، وجماعة ابوللو لم تصنع الا مناخا ملائما للتجديد اعطى فيه كل شاعر على قدر ما استطاعت موهبته وثقافته ..

احمد زكي ابو شادي ارتاد مجالات واسعة في الشعر فصاغ الاساطير وكتب الاوبرا والقصة الشعرية فضلا عن القصيدة الغنائية ، لكن طموحه كان اكبر من شاعريته .

اما علي محمود طه فقد عبر شعره عن توافق كبير مع الحياة والمجتمع وحاول ان يكون استمرارا لشوقي في الوقت الذي حاول فيه ان يجسد للشباب النموذج الرومانسي كما كانت تفهمه تلك المرحلة ..

ومثله بقية شعراء هذه الجماعة الذين كانوا اقل موهبة منه بلا شك لكنهم يلتقون معه في محاولة التوفيق بين القديم والجديد وفي التعبير عن سطح الموقف الرومانسي الذي وصلهم في صورته التقليدية الشائعة واحيانا السوقية من خلال بعض القصائد وروايات الجن والمغامرات المترجمة ، فالتقى بالهياج العقلي والعاطفي الذي ميز وجدان تلك الفترة نتيجة للحرمان الطويل ..

اما ناجي فهو الشاعر الوحيد الذي ادرك جوهر الرومانسية وكابده مكابدة حقيقية كتيار متصل او كحلقة في سلسلة الحركات التجديدية التي عرفها المجتمع والعلم والفن في اوروبا منذ الثورة الصناعية الى الحرب العالمية الاولى ..

وفي كتابه « رسالة الحياة » الذي يضمن دراساته في الادب والعلم والمجتمع الى جانب مقالاته واعترافاته المنتشرة في الصحف والمجلات عالم واسع من المعرفة الشاملة يبدأ بروائيي وشعراء القرن التاسع عشر الانجليز وينتهي بشعراء القرن العشرين ويتسع للفلسفة والتاريخ وعلم النفس والاقتصاد والمجتمع ..

كان ناجي يقرأ بالانجليزية والفرنسية والالمانية ويحرص على ان تكون مكتبته عامرة بآخر ما تصدره المطبعة الاوروبية في هذه اللغات كما يحدثنا في بعض اعترافاته ..

ولعل ناجي هو الشاعر الوحيد في جيله الذي كتب عن الاشتراكية وهيجل وستالين وحبذ اعادة توزيع الثروة باسلوب الاشتراكيين الديموقراطيين ..

وناجي من اوائل الشعراء العرب الذين تابعوا بكثير من الفهم والتحبيذ حركة الشعر الاوروبي الحديث من اول الرومانسيين الانجليز الى الرمزيين الفرنسيين الى التصويريين الامريكيين الى المستقبليين الروس حتى ينتهي بالبرت وستيفن سبندر .

وربما كان هو الشاعر الوحيد في جيله الذي قرأ اليوت شاعرا وناقدا منذ بداية الاربعينيات على الاقل كما نفهم من كلمة نشرها عام ١٩٤١ في مجلة « الصباح » التي كانت تصدر آنذاك في القاهرة ، وفيها يشكو من صديق له استعار احد مؤلفات اليوت ولم يعده اليه ، قائلا ان هذه النسخة التي استعارها صديقه هي النسخة الرابعة التي اشتراها بعد ثلاث استعارها اصدقاء اخرون ولم يعيدوها ..

وناجي يوجز في احدى مقالاته مميزات الشعر الاوروبي الجديد فيقول انه « اتجه الى تحديد التجربة الشعرية ، وتحديد العلاقة بين العقل الواعي والعقل الباطني ، واستغلال امكانيات العقل الباطني ، وبناء القصيدة على الطريقة المسماة بالتداعي الحر ، والتوجه الى الانسان العادي ، واستعمال الكلمات المتداولة ..

وعدا عشرات من القصص التي ترجمها ناجي عن الانجليزية فقد ترجم ايضا « ازهار الشر » لبودلير كما ترجم عددا من القصائد الاخرى منها قصيدة « الى الريح الغربية » لشلي ، و « البحيرة » للامرتين ، و « دعاء الراعي » لهنريك هايني ..

واظن ان صورة هذا الشاعر المثقف المهموم بقضايا عصره هي على العكس تماما من صورة المتسكع الليلي التي يقدمها له بعض اصدقائه فيما كتبوه عنه !

ومع ذلك فناجي المثقف الكبير ليس هو من نهتم به الان .. فالذي يهمنا اكثر هو ناجي الشاعر ، وان كان الفصل بينهما غير جائز ، فليس شعر ناجي الا تعبيره الفريد عن ثقافته الواسعة سواء ما عرفه في الكتب او ما عرفه في الحياة ومن هنا استمراره بعد موته بل وتالقه في ضوء الثورة التي قام بها المجددون المعاصرون ..

وشعر ناجي بعد استبعاد كافة شعر المناسبات فيه ديوان جديد تماما على الشعر العربي الحديث ، لانه ربما كان الشاعر الوحيد في جيله الذي لم يحرص على ان يلبس قناعا في شعره من اي نوع ، بل جعل همه ان يبدو بوجهه الحقيقي ..

وقبله كان الشعراء يلبسون قناع النديم الذكي ، او قناع الزعيم المصلح ، او قناع الشاعر الشارد اما هو فكان يظهر بلا قناع ..

وعلي محمود طه في كل شعره يرسم لنفسه صورة الشاعر المهموم بما وراء الحياة :

ان أكن قد شربت نخب كثيرات واترعت بالمدامة كاسي
وتولعت بالحسان اني مغرم بالجمال من كل جنس
فبروحي اعيش في عالم الفن طليقا والطهر يملأ نفسي

كما يقول في « اعتراف » .

ويقول في « مخدع مفنية » :

قلت حسبي من الربيع شذاه ولعيني زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض كلنا فيه بلبل صداح
فنيت في هواه منا قلوب واصابت خلودها الارواح

اما ناجي فله صورة اخرى .. يقول من « خمر الرضا » :

كم تمنيت والصدور تجافي وتزور والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البر يرتاح على خفقه الطريد المعذب
هات وسدني الحنان عليه جسدي متعب وروحي متعب ؟

ويقول في « بقايا حلم » :

كلما خلى حبيبي يده لحظة قلت : وحبي ابقها
ابقها انفض بها خوف غد واحس الامن منها وبها

والفرق بين صورة علي طه وناجي في شعر كل منهما ، هو نفسه الفرق بين النماذج البشرية التي يقدمها كل منهما في قصائده :

فمفنية علي طه تخطر في مخدع يصفه فيقول :
شاع في جوه الخيال ورف الحسن والعطر والهوى والمراح
ونسيم معطر خفقت فيه قلوب ورفرفت ارواح

ومنى كلهن اجنحة تهفو ودنيا بها يرف جناح
ومن الزهر حولها حلقات طاب منها الشذا ورق النفاح

اما راقصة ناجي فيقول عنها :

ورأيتها في آخر الليل في فتية نصبوا لها شركا
يعلو سناها الحزن كالظل مسكينة تتكلف الضحكا

هذا الدفء الانساني الذي نحسه في شعر ناجي هو مدخلنا الى ديوانه او الى هذه الشاعرية الجديدة ..

ان ناجي لم يكن يكتب الشعر اولا ثم يجعلنا نرى الحياة من خلاله، بل هو يطلب منا ان نعرف الحياة اولا لنعرف شعره ، وهذا مـا يفسر اننا نبدأ محبتنا له بعد نضجنا العاطفي .. شعـر ناجـي صدور عـن الحياة وشعر زملائه هبوط عليها ..

ولست اريد أن اسرع الى تهيئة القارىء لاستقبال كلمة «الواقعية» بمعناها الساذج ، فناجي لم يكن واقعيا بهذا المعنى ، بل بمعنى كلمة « عصري » اذا لم نفهم هذه الكلمة ايضا بمعناها الساذج المقابل لكلمة « مودة » . فناجي كان عصريا بمعنى انه كان يحاول فهم الواقع فـي عصره عن طريق الوسائل الجيدة التي اتيحت له لادراك هذا الواقع ..

لكن ماذا نقصد بالعصر الذي نتحدث عن فهم الشاعر له ؟

بكلمة بسيطة نقصد هذا الانقلاب الذي طرا عـلى القرن العشرين بسبب تقدم العلم والتكنيك وانفجار الثورات الاجتماعية وما تبع هذا من تحول المعرفة الى محاولة فهم المجتمع البشري من داخله وما فـي ذلك من تفصيلات كثيرة اهمها القيمة التي اكتسبتها الاشياء وطمـوح الانسان العادي الى ان يلعب دورا في التاريخ ..

بهذا المعنى نجد ان شعر ناجي تعبير رائع عن عصره ، فاشعـار ناجي تقدم تجربته في الحياة وكانه يسير فـي « يـوم الحشر » او « يوم الطوفان » ..

ان صور الشارع ، والزحام ، والسيارات المارقـة ، والرحيل ، والفرق ، وتعاقب الليل والنهار ، وتقدم العمر تجعل الديوان رحلـة زاخرة بالهلع ..

ان مجتمعا يرحل ومجتمعا يظهر ، وناجي الذي يعرف سر ذلـك وحيد خلفه الراحلون وانكره القادمون الذين لن يطول بهم المقام ايضا ، فالقانون الجائر يعمل عمله والكل ضحاياه ..

لقد تحولت صورة الموت القديمة تلك التي كـان بوسع الناس ان يؤجلوا التفكير فيها حتى تقع الى شيطان هدام ركب روح الانسان الذي اصبح يدرك انه يموت في كل لحظة بقانون التطور الذي لا يكف عـن العمل ، فكيف يبقى الحب ، ويدوم الجمال والصداقة والالفة بعد هذا القانون الرجيم .

واذا كان ناجي يرى التغيير في نفسه وهو الذي عرف قانونه اكثر مما يراه غيره فقد اصبح مروعا بفكرة انه وحيد يلح في البعد عن كـل ما يحب !

سيان مـا اجهل او اعلـم ... من غامض الليل ولغز النهار
سيستمـر المسرح الاعظـم ... رواية طالت واين الستـار

★★★

ان الجمال الساحر الفاتنـا ... يا ويحه حين تغير الفضون
ويعبث الدهر بحلـو الجنى ... وتستر الصبغة اثـم السنين

و :

عشت زمانـا لا ارى ... لخافقـي منقلبـا
مسافرا لا قـوم لـي ... مبتعـدا مغتربـا
مشاهدا علـي فـي ... مسرحـه ان ارقبـا
رايـة ملـت كمـا ... مـل الزمـان ملعبا

ولا يمكن ان تكون هذه الصورة مجرد تعبير عـن احساس الشاعر بالزمن او بتقدم العمر ، فالاشارات الاجتماعية والرموز العصرية فـي شعره توضح ما نذهب اليه من ادراك الشاعر لتجربة الانقلاب الاجتماعي والفكري بكل ما فيها من آلام ، وان كان الشاعر لم يقف في هذه التجربة الا عند جانبها الفاجع ، او بكلمة اخرى لم ير الا صورة الموت .

ان الموت في شعر ناجي موضوع رئيسي لا يغالبه الا موضوع الحب الذي راى فيه ناجي خلاصه ، او راى فيـه صورة الحيـاة اخصب ما تكون ..

وبعض الذين كتبوا عن ناجي يبسطون امر الحب فى شعره حيـن يرجعونه الى ما كان يقاسيه من حرمان عاطفي سببه ان ناجي لـم يكن الرجل الذي تحبه النساء ! او حين يرجعون كل قصيدة الى امـرأة بالذات فيتحدثون عن « زازا » و « سونيا » وغيرهما ..

والحقيقة التي تطالعنا فى ديوان ناجي ان المرأة لا تقف وحدها فى اي قصيدة له ، بل تقف فى مواجهة الموت الذي يتهدده ..

يقول في قميص النوم الذي خلعته عليه احدى ملهماته وكـان مريضا :

قميص يوسف رد العيـن مبصرة ... ففاز بالنور ذاك المطرق الكابـي
وانت لو ان روحا ازمعت سفـرا ... اعدتها وخيال المـوت بالبـاب
فذد خيال المنايا اليوم عن رجـل ... انشبن فـي روحه اشباه انياب

وهو يرى نفسه فيمن يحب ، ويرى حبيبه في كل شيء ، ويقدم عن المرأة صورة الحياة ذاتها ويرى نفسه طفلا على صدرها الحنون ، وهـي صورة تتكرر كثيرا في قصائد مثل « آمال كاذبة » و « فرحة جديـدة » و « الفراق » و « الطائر الجريح » و « نسمة الفجر » .. الخ .

الموت والحب اذن هما الموضوعان اللـذان لخص فيهمـا الشاعـر تجربته ، او صنع منهما في الشعر معادلا للحياة ، فشعر ناجـي ليس تسجيلا لاحداث شخصية كما هو الحال عند الشعراء الصغار بل هـو

دار الآداب تقـدم

ملامح من الوجه والأنباذ وقلبيسي

للشاعـر

محمد عفيفي مطـر

صدر حديثا الثمن ٢٠٠ ف.ل

تعبير عن خبرة شاملة او موقف من الحياة ..

والسؤال .. كيف عبر الشاعر عن هذه الرؤية ؟

اول ما نلاحظه في هذا المجال قاموس الشاعر ، فهو يستخدم قاموسا جديدا أقرب ما يكون الى لغة الحياة اليومية ، وربما ضم هذا القاموس كلمات كانت تستخدم في الشعر لاول مرة مثل .. بهو ، درج ، ملهى ، ذمة الشيطان ، الرماد الآدمي ، الكوخ الخشبي ، انوار المدينة .. الخ .

ومن الطبيعي ان يكون ناجي سباقا الى استخدام هذه الكلمات واكتشاف شاعريتها وهو الذي لم يكن يعيش في الواقع فحسب وانما كان يفكر فيه ..

واذا كان هم الشاعر هنا هو تقديم خبرة حية في شعره فقد اختلف فهمه للجمال عن فهم زملائه ، فالجمال ليس هو اتقان الصنعة بل هو القدرة على اعادة تمثيل معاناته للواقع ، ومن هنا الوان التجديد التي نراها في ادواته الشعرية ..

في التقفية لجأ الى القوافي المتعددة ، وبعض المتسرعين يتهمونه بقصر النفس ، والحقيقة ان ناجي كان من اكثر شعراء جيله امتلاكا لادوات صنعته حتى كان من اقدرهم على الارتجال ، وانما يعزى تعدد القوافي عنده الى رغبته المخلصة في الوصول الى اقصى درجات الصدق ..

واذا كنا نجد القوافي عند كثير من الشعراء زينة يمكن ان تنزع من البيت دون ان يفقد الكثير ، نجد القافية عند ناجي جزءا لا يتجزأ من الصورة الشعرية ، بل هي في بعض الاحيان مركز الصورة وبؤرتها ، وهي بهذا الاستخدام تصبح نفيا للقافية في صورتها التقليدية ..

وانظر الى هذين البيتين مثلا :

كل شيء من سرور وحزن والليالي من بهيج وشجن
وانا اسمع اقدام الزمن وخطى الوحدة فوق الدرج

انك لا تستطيع ان تحذف اية قافية من قوافيهما الاربع والا حذفت الصورة كلها ، بل انك لا تحس بالقافية هنا لانها جزء من صميم الصورة الشعرية .

وناجي يعطي نفسه الحرية في ان يجعل التاء المنونة في كلمة « هادئة » قافية ، وفي احدى قصائده المكونة من مقاطع ثنائية يورد مقطعا مكونا من بيت واحد غير حريص على اكماله بيت آخر لتظهر القافية ..

وهذه الحرية التي نجدها في قوافي ناجي نجد مثلها في اوزانه ، ففي عدد من قصائده يعدد البحور في القصيدة الواحدة ، او يستعمل تامها ومجزوءها في قصيدة اخرى .. وهذا كله ما جر عليه سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون انهم امام شاعر غير مكتمل الادوات ، وهو في الحقيقة انما كان يستحدث ادوات جديدة ..

★★★

هذا اذن هو ما قدمه ناجي للشعر العربي الحديث ، وهذا ما يجعله في رأيي مقدمة اساسية سبقت حركة التجديد المعاصر ومهدت لها ، وهذا كله في النهاية هو الذي يجعل لناجي هذا المكان الاثير لدى الشعراء المجددين ويضمن لشعره الاستمرار في حركة الشعر الحديث (*) .

احمد عبد المعطي حجازي

القاهرة

* مقدمة لمختارات من شعر ابراهيم ناجي تصدر قريبا عن دار الآداب .

أُصُولُ الفِكْرِ المَارِكسِي

تاليف اوغست كورنو

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

رحلة من داخل الفكر الماركسي وتأصيل للحركة الماركسية في الفكر الالماني قبل ماركس بدءا من الفلسفة العقلانية الى الحركة الرومانتية ثم وقفة كبيرة عند هيغل من حيث هو مصدر غنى للفكر الماركسي ثم وقفة كبيرة أخرى عند اليسار الهيغلي بصفة عامة ولودفيغ فيورباخ بصفة خاصة .. وهنا يهتم المؤلف بابراز فكرة الاغتراب عند كل من هيغل ثم موسى هس وفيورباخ ، وهي تلك الفكرة التي اثرت على ماركس الشاب وبحث في المكونات الفلسفية وتطوره الفكري حتى البيان الشيوعي بعد ان تكون رحلة الاصول قد استكملت ..

والمؤلف واحد من كبار المفكرين الماديين واستاذ للتاريخ الثقافي بجامعة همبولدت ببرلين .. وهو من اوائل من اهتموا بمشكلة الغربة عند ماركس وركز على مخطوطة ماركس الاقتصادية والفلسفية التي نشرت في الثلث الثاني من القرن العشرين وعدلت النظر الى كارل ماركس ..

الثمن ٣٠٠ ق. ل

دار « الاداب »